

برلين تنتظر سبتمبر لتستعيد حياتها الثقافية

المعمل بعدد أقل من الفينين، وهو ما يعني أننا لن نستطيع ترتيب المجموعات وتفكيكها بالطريقة الطبيعية أو بالسرعة المعتادة". أما من لا يطيعون الانتظار إلى حين عودة الأداء الحي، فقد لجأت الدور الثقافية في برلين إلى تقديم برامجها عبر الإنترنت.

وسجل حوالي 100 ألف شخص الدخول على المعرض الرقمي الذي تم إطلاقه في وقت سابق الشهر الجاري في الذكرى الخامسة والسبعين لهزيمة ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية، بعدما أجبر وباء كورونا المظلمين على إلغاء فعاليات عامة كانت مقررة في هذه المناسبة التاريخية الفارقة.

وقال مسرر "شنتات أوبر" العام في برلين، إن عروضة الرقمية شاهدها الجمهور في 48 دولة، وكانت هذه العروض فرصة للوصول إلى الشباب، وقد شكلت الفئة العمرية ما بين 25 و34 عاما، ثاني أكبر مجموعة عمرية بين الجمهور.

وفي وقت سابق من الشهر الجاري، قدمت "أوركسترا برلين الفيلهارمونية" عرضا للاحتفال بذكرى تأسيسها، ولكن في قاعة خاوية.

المشهد الثقافي المثير لبرلين لن يعود فعليا إلى الحياة الواقعية قبل أشهر من الآن، لكن هناك بدائل

وتم ترتيب الموسيقيين في مجموعة صغيرة على مسرح "أوركسترا برلين الفيلهارمونية" مع مراعاة شروط التباعد الاجتماعي. وعوضا عن الجمهور المباشر، تم بث الحفل، الذي قاده الموسيقار كيريل بيريوتكو، مباشرة عبر التلفزيون والإذاعة والإنترنت، ووصل عدد المتابعين إلى حوالي 572 ألف شخص في أكثر من 80 دولة.

وقال الرئيس الألماني فرانك فالتر شتاينماير في رسالة ترحيب قبل الحفل "يا له من مناخ غريب".

وأضاف "هنا، داخل هذا المبنى الرائع، الذي يعرفه العالم برمته، والذي يحبه جميع عشاق الموسيقى: هنا، حيث يجتمع كثير من الضيوف من كل حدب وصوب: هنا الوضع هائل تماما". كما بدأ قبل أيام مهرجان كورونا الدولي الأول للأفلام الوثائقية القصيرة عبر قضاء الإنترنت من ألمانيا.

المهرجان الذي يعد الأول من نوعه والذي يامل المنظمون أن يكون الأخير أيضا، عبارة عن مسابقة تم إطلاقها حديثا عبر الإنترنت للأفلام القصيرة التي بدأت كرد فعل على تطورات فيروس كورونا الحالية. إدراكا للتأثير المدمر للوباء وسيتم اختيار الفائزين من وجهة نظر الجمهور عبر الإنترنت وسوف تتاهل الأعمال المختارة لمهرجان "إنترفيلم" في برلين مباشرة.

يقول منظمو هذا المهرجان: نريد أن نحقق أقصى استفادة من وضعنا ونمنح تحديا إبداعيا بالنسبة إلى محترفي الأفلام وعشاقها الذين أعادوا بالفعل مشاهدة جميع المسلسلات والأفلام المشاهدة، وقرأوا جميع الكتب على الرف ولعبوا ألعابا عبر الإنترنت لعدة أيام، قد يكون هذا هو الحل الأفضل للتعامل مع الركود الإبداعي في أوقات التدابير الاحترازية والعزلة الذاتية.



مسرح برلين ستيفير

برلين - تحظى برلين بمشهد ثقافي حافل تغبطها عليه مدن أخرى، حيث بها 15 مسرحا وسبع فرق موسيقية كبيرة (أوركسترا)، و3 دور أوبرا و170 متحفا. ولكن نقشي وباء كورونا المستجد ألقي بظلاله على الحياة الثقافية في العاصمة الألمانية، ووضعها أمام مستقبل غامض، في وقت يبحث فيه المسؤولون حول المخاطر التي قد تترتب على إعادة تنظيم فعاليات ثقافية كبرى. وأطلق روبن تيشياتي، مدير الأوركسترا السيمفونية الألمانية، في برلين، برنامج الفرقة الشهر الماضي "بروح أمل واقعي" وقال "لا نعرف متى سنعزف ثانية".

وأعلنت "أوركسترا برلين الفيلهارمونية"، الشهيرة، أنها لا تعرف متى يمكن أن تعود الحفلات الحية من جديد.

وفي الوقت الذي بدأت فيه السلطات الألمانية تخفيف العديد من القيود التي فرضتها منذ منتصف شهر مارس الماضي لكبح جماح نقشي وباء كورونا، لا يزال من المرجح عدم إعادة فتح دور الأوبرا أو قاعات الموسيقى والمسرح قبل بضعة أشهر أخرى، في ظل الحظر المفروض على الفعاليات العامة في أنحاء ألمانيا حتى 31 أغسطس المقبل.

وفي نفس الوقت، بدأت بوتيرة بطيئة عمليات إعادة فتح مجال الحلاقة ومصطفى الشعر ورسم الوشم "تاتو"، والمطاعم، والفنادق، وأحواض السباحة الخارجية، والمدارس والمتاحف.

ولا يزال الغموض يكتنف الموعد الذي يمكن فيه ما يصفه تيشياتي بأنه "المشهد الثقافي المثير لبرلين"، أن يعود فعليا إلى الحياة على خشبة المسرح، والظروف التي يمكن أن يحدث ذلك في ظلها.

وسعت المستشار الألمانية أنجيلا ميركل إلى تبديد مخاوف المؤسسات الثقافية، عندما أكدت في آخر رسالة فيديو أسبوعية لها، على دعم الحكومة للفنون.

وقالت ميركل "أدرك ما نتقدمه جميعا، وأدرك كيف ينتظر كثير من المواطنين أن يتمكنوا من مشاهدة العروض الثقافية الحية مجددا".

وأضافت "حتى ذلك الحين، سنسعى إلى أن ندعمكم بأقصى ما في وسعنا من خلال برامج المساعدة الخاصة بنا". ويستطيع العاملون في مجال الفنون التقدم للحصول على دعم من مجموعة من البرامج العامة، وبينها برنامج المساعدة الحكومي الذي يبلغ رأسماله 50 مليار يورو (54.4 مليار دولار) والمخصص لأصحاب الأعمال الصغيرة، أو من يعملون لحسابهم الخاص.

ولكن أوليفر ريس، المدير العام لفرقة برلين المسرحية حذر من الوضع الجديد الذي يواجه الفنانين والجمهور في المدينة. ويعتقد ريس أنه بمجرد أن تعيد المسارح فتح أبوابها سيكون للفائروس "عواقب بالغة"، على العروض المسرحية، مشيرا إلى كيفية وضع المقاعد، وترتيب المجموعات وطريقة أداء التدريبات (البروفات).

وأضاف أن فرقة برلين المسرحية التي أسسها الكاتب الشاعر والكاتب المسرحي بيرتولت بريخت في يناير عام 1949 تبحث إمكانية استئناف نشاطها الألماني بحلول شهر سبتمبر المقبل، ولكن فقط بطاقة 200 مقعد من إجمالي 700 مقعد في مسرحها.

وقال ريس "من أجل الإمتثال للإجراءات الاحترازية، سيتعين علينا وحول جائزة كورونا وإذا ما كانت موجهة للمبدع بأعمال معينة، يقول صبحي موسى "أعتقد أن كورونا ستترك أثرا أو ظلا في كتابات الكثيرين من أبناء جيلنا أو الأجيال التالية، وربما تصدر كتابات تحفل كورونا فيها دور البطولة حتى قبل أن تنتهي الجائحة نفسها، لكن هذه ستكون كتابات متعجلة وأقرب إلى العمل الصحافي منها إلى العمل الإبداعي القائم على التامل ومحاولة الفهم أو تقديم وعي حقيقي".

ويضيف "عن نفسي أعتقد أن جائزة فايروس كورونا بوصفها حدثا عالميا امتد لفترة ونال حضورا إعلاميا ضاعطا، وترك أثرا نفسيا كبيرا لدى الجميع، سيكون شحبا يظهر بشكل أو آخر في كتابة ستاتي في ما بعد، وقد يحتل دور البطولة إذا تمكنت من فهمه بشكل كاف، لكن لا أعرف ما الذي سيأتي في علم الغيب، فالكتابة كما يقولون رزق".

الرواية التاريخية تسد ثغرات الماضي

الروائي المصري صبحي موسى: الأقباط مكون أصيل للثقافة العربية



المشكلة ليست في ما نروي بل في كيف نروي

النفسية، ومن ثم يخصص مشروعته لفهم الدهايلز المظلمة في أعماق النفس البشرية، وآخر يشغله البحث في الهوية والتاريخ والمجتمع، وثالث يسعى لنسج الأساطير وقصص الحب ومعرفة كيف توّجّي ثمارها في واقع معقد كالذي نعيشه، وهذه كلها أسئلة للفن، والكل يتحرك وفقا لطبيعته واحتياجه، ولم تعد هناك مساحات للنبوءة ولا للقررة على تغيير العالم، فهو أكثر تعقيدا من القدرة على فهمه وليس تغييره.

هناك كثير من الأعمال الرصينة والجيدة لا تلفت أنظار المجتمع الثقافي، بينما توجد أعمال متوسطة القيمة لامعة وتحظى باهتمام واسع. وهنا يقول موسى، "إن خفوت وذبوع عمل روائي ما يتعلق بأمور كثيرة خارج نطاق الفن، لكنها تنماس مع الفن، عادة ما يقوم بها الكاتب بنفسه، لأننا في مجتمعات بسيطة يؤدي فيها المبدع بكل ما يخص فنه بدءا من الكتابة والنشر والترويج والدعاية والتسويق، ومن ثم فهناك من يجيدون عمل هذا الدور، ويطلق عليهم دائما لفظ شلة وجماعة وغيرها".

ويتابع أن هناك من يفضل في الدخول في ثقافة القطيع هذه، فينجح في كتابة نص جيد، لكنه يفضل في أدوار الدعاية، وعدم قدرته على الانتماء إلى "شلة"، أو عدم تمكنه من تكوين خطاب شعبي على منصات التواصل الاجتماعي، فنصه لا يترجم وربما لا ينال ما يستحق من الجوائز، ما يعلق عليه دائرة من التهميش، وغالبية الكتاب الحقيقيين يهزمون من خارج الكتابة نفسها.

ويرى موسى كتابا كبيرا قدموا منجزا مهما وهم شباب، لكن الأضواء لم تأتهم إلا متأخرة، بحكم ثقافة الدور، أو أنهم الذين استطاعوا البقاء على قيد الحياة، وكان لا بد أن يكتبوا، ليس لأن لديهم جديدا يقدمونه، لكن ليطيلوا البقاء تحت الأضواء أكثر قدر ممكن، رغم أن هذه الكتابة تخضع من رصيدهم لدى القارئ.

وحول جائزة كورونا وإذا ما كانت موجهة للمبدع بأعمال معينة، يقول صبحي موسى "أعتقد أن كورونا ستترك أثرا أو ظلا في كتابات الكثيرين من أبناء جيلنا أو الأجيال التالية، وربما تصدر كتابات تحفل كورونا فيها دور البطولة حتى قبل أن تنتهي الجائحة نفسها، لكن هذه ستكون كتابات متعجلة وأقرب إلى العمل الصحافي منها إلى العمل الإبداعي القائم على التامل ومحاولة الفهم أو تقديم وعي حقيقي".

ويضيف "عن نفسي أعتقد أن جائزة فايروس كورونا بوصفها حدثا عالميا امتد لفترة ونال حضورا إعلاميا ضاعطا، وترك أثرا نفسيا كبيرا لدى الجميع، سيكون شحبا يظهر بشكل أو آخر في كتابة ستاتي في ما بعد، وقد يحتل دور البطولة إذا تمكنت من فهمه بشكل كاف، لكن لا أعرف ما الذي سيأتي في علم الغيب، فالكتابة كما يقولون رزق".

حدث، وما أثر ذلك على واقعنا الآن، وكيف يمكن تجاوز هذا الأثر؟ في رايه، إن التاريخ القبطي مُمهش لأن أي منتصر يسعى لكتابة التاريخ انطلاقا من لحظته هو، وكان الدنيا بدأت منه، ولنا أسوة في التاريخ الفرعوني وتغيير الفراعنة لما كتبه السابقون عليهم وعن أنفسهم على مسلات وجدان المعابد، هكذا أيضا فعل المسلمون مع التاريخ القبطي، ليس بدوافع دينية، لكن لأن المنتصر يفرض ثقافته ولغته وتاريخه.

ويكشف الروائي صبحي موسى أنه استغرق ثلاث سنوات كاملة في كتابة هذه الرواية، لكنه قضى قبلها عدة سنوات في البحث والتفكير والتأمل في المسألة المسيحية.

ويضيف "لقد كان يشغلني دائما الصراع القديم الذي أدى إلى مجمع خلقيدونية وانفصال الكنيسة المصرية عن الكنائس الكبرى وقتئذ في روما والقسطنطينية، وقررات العديد من المراجع عن هذا الأمر".

كان التساؤل الشاغل لبال الروائي، مثلما شغل الكثيرين من قبل، هو توقيت تحول راية التسامح التي عبرت عنها مقولة "من ضريك على خدك الأيمن فادر له الأيسر" إلى راية عنف. معتبرا أن ذلك ليست له علاقة بالدين نفسه ما بقدر ما هو موصول بالطبيعة البشرية، فرياسة التسامح تظل مرفوعة طالما كان الشخص ضعيفا، لكن إذا أصبح قويا فالامر يختلف، وهذا ما حدث مع المسلمين قبل الهجرة، وتغير إلى شأن آخر بعد الهجرة والفتح، وبالتالي تغيرت فكرة التسامح، وما كان مقبولا وقت الضعف لم يعد كذلك وقت القوة، وما حدث بعد فتح مكة هو نفسه ما حدث في الإسكندرية حين سعى الأقباط لتخليصها من الديانات الأخرى.

إذا كانت هناك أعمال محدودة، مثل رواية "البشموري" للروائية سلوى بكر، و"عزازيل" ليوسف زيدان، قد تناولت جانبا مقاربا، فإن صبحي موسى استفاد من كافة التجارب السابقة.

ويؤكد أن الروائي الذي يستمد إبداعاته من خلفيات تاريخية يكمل الثغرات المسكوت عنها، ويقدم بمداق الحاضر

يقول صبحي موسى لـ "العرب"، "لا توجد حقيقة تاريخية واحدة، سواء قديمة أو حديثة، بمعنى أن ما يسجل التاريخ في القديم أو الحديث ينطلق من موقعه، وكل كاتب يتأثر بنشأته وجماعته وزمنه، ولنا أن نراجع ما كتبه المؤرخون العرب عن الثقافة الفرعونية، أو ما كتبه الرحالة العرب عن البلدان التي زاروها، أو ما كتبه المستشرقون عن بلادنا، وهكذا نمت أساطير كبيرة لدينا عن الآخر، والعكس أيضا".

ويؤكد أن الروائي الذي يستمد إبداعاته من خلفيات تاريخية يكمل الثغرات المسكوت عنها، ويقدم بمداق الحاضر، ما يعني أن الرؤية التاريخي في مجرد قناع للفهم، فالروائي المعني بالتاريخ يسعى إلى فهم مازق الإنسان الحالي من خلال وعيه التاريخي.

وفي تصوره، إن التاريخ هو العقل الباطن للأمة، ودور الكاتب التاريخي هو البحث في هذا العقل عن تفسير لما يجري الآن، وليس مجرد إعادة تمثيل الماضي.

يوضح موسى أن رواية "صلاة خاصة" حاولت إضاءة فترة مُعتمة في تاريخ الثقافة العربية، وهي الفترة القبطية، تلك الفترة تعتبر مكونا أصيلا للثقافة العربية بشكل عام، والمصرية بشكل خاص، وجسرا يربط أحوال المنطقة قبل ميلاد المسيح وبعد.

ويلفت إلى أن الثقافة القبطية نشأت كنوع من الرفض للهيمنة الرومانية على مصر وبعض بلدان الشرق، وتحول الأمر إلى صراع ديني بين المصريين الذين اتخذوا المسيحية ثقافة لهم، والرومان الذين لم يكونوا في البدء مسيحيين، ثم سرعان ما دخلوا في الدين المسيحي، وتبنوا الرؤية الأريوسية المخالفة للرؤية المصرية للمسيح وجوهره وقدمه.

وأشار إلى أن "البشموري" صورت ثورة اجتماعية ضد ظلم بعض الحكام العرب، قادها الأقباط المصريون، أما "عزازيل" فتناولت قصة حب بين راهب وفتاة، وعلى هامشها جاء مشهد مقتل هيبياتيا والحديث عن عزل مشطور دون أن تخوض في أسباب ذلك أو تحلل الوقائع التي أدت إليه، وهي كتابة أقرب إلى منطق الستينات في إعادة تمثيل الماضي دون تحليله أو التفكير في أسبابه. والمدهش أن الكنيسة استأثرت إلى معركة ليست ثقافية بينها وبين الكاتب.

ولفت إلى أن روايته "صلاة خاصة" معنية أكثر بتتبع التطور والتحول وتحليله عبر الإجابة عن العديد من الأسئلة: عما حدث، وكيف حدث، ولماذا

إذا كانت الرواية ذات الخلفية التاريخية فرضت نفسها على ساحة الثقافة العربية في السنوات الأخيرة، فإنه ما زالت هناك جوانب مُستعبدة ومنسية، ربما رغبة في تجاهلها لأسباب عقائدية أو أيولوجية، وربما لعدم وجود قراءات وافية عنها. "العرب" كان لها هذا الحوار مع الروائي المصري صبحي موسى الذي يعتبر من أبرز الأعلام العربية التي تناولت التاريخ.



مصطفى عبيد
كاتب مصري

التاريخ نبع إبداع، مخزن أفكار، ويستأن حكي لا ينتهي، يجذب اليباب المبدعين، ويغري الكتير من الروائيين للسرد والدخول إلى مناطق مدهشة لرسم كتابات مبهرة وجاذبة.

من هنا يرى الروائي المصري صبحي موسى أن فن الرواية يشكل عام يمكن أن يستكمل النواحي المسكوت عنها في التاريخ، وهذا ما دفعه إلى كتابة رواية "صلاة خاصة" الصادرة عن الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة.

تتناول الرواية جانبا من التاريخ المهمل أو المنسي للحقبة القبطية في مصر، حيث تتبع صعود وهبوط المسار القبطي، بدءا من تحول الشرق إلى الديانة المسيحية ووقوف بعض البلدان مثل مصر أمام سطوة الرومان، وما تبع ذلك من تطور للفكر المسيحي خلال قرونه الأولى وقدرة المساهمة المصرية في بناء الفلسفة المسيحية عالميا.

بدأ الروائي المصري صبحي موسى مشواره الإبداعي بكتابة الشعر وصدرت له عدة مجموعات شعرية أبرزها "صمت الكهنة"، و"حمامة بيضاء"، و"قصائد الغرفة"، ثم اتجه إلى فن الرواية ليقدّم روايات "أساطير رجل الثلاثاء"، و"المورييسكي الأخير"، و"المؤلف"، و"نقطة نظام"، وشغل رئاسة تحرير مجلة الثقافة الجديدة بالقاهرة، وله مقالات ودراسات أدبية في عدد من الصحف، وفي سنة 2018 فازت روايته "نقطة نظام" بجائزة نجيب محفوظ للرواية مناصفة مع الكاتب والروائي إبراهيم عيسى.

تأملات عميقة

يقول صبحي موسى لـ "العرب"، "لا توجد حقيقة تاريخية واحدة، سواء قديمة أو حديثة، بمعنى أن ما يسجل التاريخ في القديم أو الحديث ينطلق من موقعه، وكل كاتب يتأثر بنشأته وجماعته وزمنه، ولنا أن نراجع ما كتبه المؤرخون العرب عن الثقافة الفرعونية، أو ما كتبه الرحالة العرب عن البلدان التي زاروها، أو ما كتبه المستشرقون عن بلادنا، وهكذا نمت أساطير كبيرة لدينا عن الآخر، والعكس أيضا".

ويؤكد أن الروائي الذي يستمد إبداعاته من خلفيات تاريخية يكمل الثغرات المسكوت عنها، ويقدم بمداق الحاضر، ما يعني أن الرؤية التاريخي في مجرد قناع للفهم، فالروائي المعني بالتاريخ يسعى إلى فهم مازق الإنسان الحالي من خلال وعيه التاريخي.

وفي تصوره، إن التاريخ هو العقل الباطن للأمة، ودور الكاتب التاريخي هو البحث في هذا العقل عن تفسير لما يجري الآن، وليس مجرد إعادة تمثيل الماضي.

يوضح موسى أن رواية "صلاة خاصة" حاولت إضاءة فترة مُعتمة في تاريخ الثقافة العربية، وهي الفترة القبطية، تلك الفترة تعتبر مكونا أصيلا للثقافة العربية بشكل عام، والمصرية بشكل خاص، وجسرا يربط أحوال المنطقة قبل ميلاد المسيح وبعد.

ويلفت إلى أن الثقافة القبطية نشأت كنوع من الرفض للهيمنة الرومانية على مصر وبعض بلدان الشرق، وتحول الأمر إلى صراع ديني بين المصريين الذين اتخذوا المسيحية ثقافة لهم، والرومان الذين لم يكونوا في البدء مسيحيين، ثم سرعان ما دخلوا في الدين المسيحي، وتبنوا الرؤية الأريوسية المخالفة للرؤية المصرية للمسيح وجوهره وقدمه.